

الشيخ الهاشمي حسني و دوره في الحركة الإصلاحية والوطنية
(1320-1410هـ / 1902-1989م)

د/قمعون عاشوري
المركز الجامعي بالوادي

Résumé

Le Cheikh El - Hachemi est né, et vécut son enfance à El-Oued, où il y a fait ses études primaires, coraniques et religieuses. Il a participé à l'édification d'une société propre, et à la formation d'une génération vigilante et cultivée.

ملخص

إن الشيخ الهاشمي علم من أعلام المنطقة بوادي سوف، فهو من الرجال الأفاضل الذين تفتخر بهم الجزائر أيما افتخار. فقد تربي وترعرع بمسقط رأسه بحي أولاد أحمد بالوادي، وساهم في تشييد مجتمع نظيف، وفي تكوين جيل حيوي ومتقف.

مقدمة

هو الشيخ الهاشمي بن الحاج أحمد بن الحاج عبد الله بن حميدة حسني. اشتهر باسم سي الهاشمي بن حميدة. لعب دورا كبيرا في نهضة مجتمعه والسير به نحو الرقي والسؤدد. ورغم نضاله الدؤوب في ميدان التربية والتعليم، كما في الميدان الإصلاحي والسياسي الوطني والقومي فإنه - مع ذلك- لم يلتفت إليه مجتمعه الذي تنكر لماضيه ولم يعره اهتماما. فمن هو الشيخ الهاشمي هذا؟ وما مدى مساهمته في بناء جيل الاستقلال، وتكوين مجتمع أصيل يؤمن بوطنيته ويقدم عروبته؟

تلقي تعليمه الأول على يد كوكبة من علماء سوف، غرسوا في نفسه حب الوطن وتقديس العلم واحترام الآخرين. تزوج وأنجب أولادا، هم من خيرة أبناء المنطقة، إذ فيهم الطبيب والمهندس في ميدان النفط والأستاذ والمربي. انتشروا في ربوع البلاد، يقدمون خدماتهم كل في مجال اختصاصه.

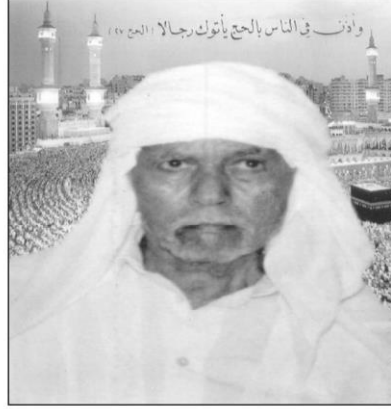
1- ولادته ودراسته:

أصل عائلته من نفطة التونسية، حيث وفد جد أبيه حميدة من هناك، وهو ينتمي إلى الأشراف، من نسل الحسن بن علي. ولم يسبق لي أن سمعت منه يوما هذا الانتساب ، لإيمانه العميق بقول الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي



غرفة الاستقبال التي يجتمع فيها بأصدقائه



صورة الشيخ الهاشمي

ولد بمدينة الوادي بحي أولاد أحمد خلال عام 1902م.⁽¹⁾ وعاش في البيت الكبير الذي يملكه جده عبد الله. وكان جده تاجرا كبيرا بسوق الوادي، يتاجر بالتمور والملابس، ومتزوجا بثلاث نساء.

كان والده من حفظة القرآن الكريم، يعيش في كنف أبيه عبد الله، واستوطن تبسة لتدريس الصبيان كتاب الله. وتزوج من هناك مباركة بنت مصباح بوزرعة، من جبال تروبية⁽²⁾، بناوحي بئر مقدم، فأنجبت الهاشمي الذي تركه والده يتيما، فتزوجت أمه الحاج مسعود غندير وأنجبت منه ولدا، سمي عبد الرحمن، ثم تزوجت أحمد قريوح، الذي كان يملك مقهى بسوق الوادي، فولدت له فاطمة والهادي.

عاش الشيخ الهاشمي في كنف جده عبد الله، وكان يساعده في تسجيل الحسابات المالية بديكانه بالسوق، غير أن جده طرده من بيته لاتهامه بسرقة عرجونين من التمر وبيعهما في السوق، ورغم ثبوت براءته، فإن جده لم يسمح له بالعودة إلى منزله إلا بعد حين، فلاذ بزاوية سيدي الإمام بالرباح، عند عمه أبيه المسماة (أما نوه)، أخت جده الحاج عبد الله، وأم الحاج محمد الأمين⁽³⁾ بن الشيخ محمد الإمام. ورغم ذلك، كان يأتي من الرباح لمتابعة دروس الشيخ إبراهيم بن عامر.

دخل الكتاب كسائر لداته، في مدرسة محمد القروي القرآنية بالأعشاش، والتي تأسست عام 1890م. ثم واصل تعليمه في جامع النخلة بأولاد أحمد، على يد الشيخ

إبراهيم بن القائد⁽⁴⁾، فحفظ عليه القرآن الكريم عن ظهر قلب، وأتقن حفظه وتلاوته، وعمره لم يتجاوز 14 عاما. وفي العام الموالي، أم الجماعة في صلاة التراويح بجامع النخلة. ثم تعلم مبادئ العلوم اللغوية والفقهية⁽⁵⁾ على يد الشيخين: محمد بن الجديدي⁽⁶⁾ وإبراهيم بن عامر⁽⁷⁾.

ومن المؤكد أنه لازم الشيخ إبراهيم بن عامر مدة طويلة، هذا الشيخ الذي طبقت شهرته الآفاق، وهو أشهر من نار على علم. كان يحترم تلميذه أيما احترام، وذلك لتقارب المشارب وتشابه المآرب. وكان يساعد شيخه في تلقين الطلاب مبادئ القواعد النحوية والفقهية. وعندما مرض شيخه، أنابه عنه في التدريس، ومن جملة الطلاب الذين درسهم: الشيخ الأزهاري الحرزولي⁽⁸⁾، وأبوبكر بن موسى⁽⁹⁾، وحمزة بوكوشة⁽¹⁰⁾.

وكان لشيخه إبراهيم تأليف شتى تجل عن الحصر، وفي مختلف الميادين اللغوية والفقهية والأدبية والتاريخية. وكان الشيخ الهاشمي قد تأثر بشيخه كثيرا، وطالما ذكره واستشهد بأقواله ومواقفه في أحايين كثيرة⁽¹¹⁾.

يبدو أن الشيخ الهاشمي كان على خلاف مع صهره الشيخين الطاهر⁽¹²⁾ وأحمد⁽¹³⁾، كما كان هذان الأخيران على خلاف أيضا مع الشيخ إبراهيم بن عامر، رغم الجوار في المسكن، والزمالة في الدراسة. ولعل ذلك راجع إلى اختلاف الرأي في موقفهما من الاتجاه الإصلاحية. إذ كان الشيخ الهاشمي إصلاحيا صرفا، ذا فكر ديني اجتهادي، في حين نرى الشيخين المذكورين، يتمسكان بأراء العلماء المحافظين، بدون اجتهاد في المسائل الفكرية والعقائدية، إضافة إلى انتمائهما إلى الطريقة الرحمانية⁽¹⁴⁾.

كما تابع الشيخ دراسته الابتدائية بالمدرسة الأهلية الفرنسية بالوادي، واسمها الحالي مدرسة ميهي محمد بالحاج، وذلك عام 1910م، حتى حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1914م.

درس مع زميله الشيخ الحسين زيبيدي بن بالقاسم (1903-1993 م)⁽¹⁵⁾. وكان الشيخ الهاشمي يتقن اللغة الفرنسية إتقانا عجبيا، ويستعملها عند الضرورة بشكل جيد. وكان يفيدنا كثيرا في كيفية التعامل بها. وتوظيفه للغة الفرنسية، جعله

يتبوا الصدارة بين أقرانه. بل أضحى مختلفا في اتجاهه التعليمي عن بقية العلماء المعروفين وقتئذ، وربما أثر هذا عن مكانته الاجتماعية ، وفي فتاويه التي تتميز بالسهولة والتبسيط، حتى اتهمه خصومه بالرقعة في الدين. ولعل لسان حاله يتطابق مع قوله تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.(16)

وعندما أتم الشيخ إبراهيم بن عامر تأليف كتابه الموسوم بـ(المسائل العامرية على مختصر الرحبية)، وهو كتاب هام جدا، يتعلق بعلم الفرائض، قرظه الشيخ الهاشمي الذي وصفه شيخه بالأديب، ببعض الأبيات هذا نصها:

من كان يرغب في ذا العلم يلزمه حفظ لنظم جليل رائق المثل
جادت به همة المولى الشريف الرضا نجل ابن عامر من قد شاع في الدول
أطال ربي بقاءه للأنام هدى وللمساكين غيثا دائم الهطل(17)

2- عمله بتونس والجزائر:

عاش الشيخ الهاشمي يتيما، تركه أبوه يافعا، فكان عليه - بعد أن أكمل دراسته - أن يشد الرحال نحو أي اتجاه، بحثا عن العمل، لسد رمق الجوع، بعد الحصول على لقمة العيش ، في وقت ضنك، يتميز بالبطالة والإملاق. هذه الظروف أجبرت أمثاله على مغادرة أوطانهم ، مثل شباب سوف الذين اتجهوا زرافات ووحدانا نحو البلاد التونسية للعمل في مناجم الفوسفات والحديد بالمتلوي وقفصة والرديف وأم العرائس، حيث اكتشفت أولى المناجم المعدنية(18) عام 1885م بجبال قفصة وتمغزة، في عهد الاستعمار الفرنسي. وشرع في استغلالها حوالي عام 1897م. وقد ذهب الشيخ إلى المتلوي، لأن الاستعمار جعل من الصحراء قفارا، وممرا لقوافله العسكرية والتبشيرية في إفريقيا، من أجل التوسع والهيمنة. وقد قسمت الصحراء إلى أقاليم عسكرية، ونصب على رأس كل إقليم، ضابط برتبة عقيد Colonel يساعد في إدارته العسكرية ضابط برتبة نقيب Capitaine ويعاونه عدد من القادة والقياد والشيوخ. هذا هو النظام الإداري في أبسط مظاهره. ولم يستثمر الاستعمار الصحراء. وعليه، فإن الشباب لم يكن لهم أمل في إيجاد عمل إلا الهجرة. وهكذا توجه الشيخ إلى المتلوي في حدود عام 1918م، وانخرط في العمل في مناجم الفوسفات، واشتغل في المخبر لمدة عام وشهرين. وكان يرسل من هناك إلى جده حمولة جمل من زيت الزيتون والغاز والكربون لإيقاد المصابيح، وبعض المواد النادرة. ثم نكص على عقبيه، وقرر العودة إلى الوادي لسماعه بنبا وفاة جده المزعومة.(19)

أعطاه جده مترا في أولاد أحمد جعله مدرسة يعلم فيها الصبيان القرآن الكريم، من عام 1920 حتى عام 1930م. وكان يسهر ليلا مع الشيخ إبراهيم بن عامر،

يتلقى عليه العلم مع ثلة من الأعيان.⁽²⁰⁾

وقد كلف الشيخ إبراهيم تلميذه الهاشمي بمكاتبة الحاكم العسكري بتقرت وهو برتبة عقيد، عندما طلب من القاضي إبراهيم بن العربي عيساوي بأن ينصف بنات ابن الملوح في الدية المالية التي حصلن عليها من الدولة الإيطالية بسبب مقتل أزواجهن خطأ، والإغارة على إبلهن في حدود صحراء طرابلس، اعتقادا من إيطاليا بأن هؤلاء الرجال هم من الثائرين عليها، وتأمرت السلطات العسكرية في الاستنثار بنصيب كبير من هذه الدية. فكشف الشيخ خيانتهم للأمانة، وكاتب سلطات تقرت التي تدخلت إلى جانب المسؤولين العسكريين بالوادي. وكانت النتيجة هي نقل الشيخ إبراهيم إلى بلدة أولاد جلال يوم 1927.12.31م، وتنزيل رتبته إلى مرتبة عدل.⁽²¹⁾

هاجر الشيخ الهاشمي إلى الجزائر العاصمة عام 1930م بحثا عن العمل، وتيسر له ذلك في شركة النقل الحضري المعروفة باسم الترامواي، Tramway وهي وسيلة نقل جماعية تعمل بالكهرباء، حيث كان يشتغل قابضا، ثم صار مراقبا. وكان يقيم في منزل يقع في شارع العقيد بوقرة، القريب من الأبيار. وفي وقت الفراغ، كان يقدم دروسا في اللغة العربية في مدرسة الشبيبة بحي صالومبي (المدنية حاليا) Clos Salembier وفي المنازل. وكانت معظم دروسه مركزة على قراءة القرآن الكريم واللغة العربية من نحو وصرف، وعلى أصول الدين.⁽²²⁾ وصادف الإعلان عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نادي الترقى، يوم 5/ 1931/5م، فانخرط فيها، واستفاد وأفاد. وشارك في الحركة التعليمية في نشأتها الأولى عندما أخذت هذه الجمعية على عاتقها التكفل بإعادة الاعتبار للغة العربية، والحضارة العربية الإسلامية، المصادرة من قبل الاستعمار، منذ وطأت رجله أرض الوطن. فجاء على يدها بوادر ثورة ثقافية واعدة، عاشتها الجزائر في تلك الحقبة، التي امتدت من الحرب العالمية الثانية حتى اندلاع الكفاح المسلح، في الفاتح من نوفمبر عام 1954م.⁽²³⁾

لقد استفاد الشيخ الهاشمي من احتكاكه بالعلماء كثيرا، وارتبط بصداقة متميزة مع الشيخ محمد العيد آل خليفة، أمير شعراء المغرب العربي بدون منازع. وعندما قام هذا الأخير بزيارة إلى مدينة الوادي عام 1967م، حيث مكث ثلاثة أيام لدى بنت أخته، المقيمة بحي القارة، راسله الشيخ، يلومه على عدم إخباره بهذه الزيارة. فأجابته الشيخ محمد العيد، بأنه كان مريضا، ولم يطل مكثه بالوادي، واعتذر له في رسالته التي أطلعني عليها.⁽²⁴⁾

كما ارتبط بعلماء آخرين، كانوا أعضاء في الجمعية، مثل الشيخ حمزة بوكوشة، زميله القديم في الدراسة، والشيخ: ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبى والأمين العمودي.

واكتملت بذلك ثقافته السياسية، التي ورثها مبكرا عن شيخه إبراهيم بن عامر، الذي كان يجمع بعد كل صلاة عشاء تلاميذه، فيدخلهم مترلا خاصا بندواته، ليلقي عليهم مسامرات حول السياسة، وأخبار المجاهدين في الحرب الليبية الإيطالية (1911-1912م)، أو الحرب البلقانية مع الدولة العثمانية عام (1912-1913م)، أو غير ذلك. وقد تتواصل هذه الندوات إلى منتصف الليل، مع شرب الشاي يوميا، وما يتبعه من كرمه الحاتمي، وكأنهم دائما في أعياد.⁽²⁵⁾

كان ذلك بمثابة النبراس الذي أنار الطريق أمام الشيخ الهاشمي، والذي كان شبيها بشيخه إلى أبعد الحدود، ومن شابه أباه فما كذب.

كانت نظرتهم متقاربة في علاقتهما بالآخرين. وكان الشيخ الهاشمي ينتقد رجال الطرق انتقادا لاذعا، بالرغم من أنه كان يتردد على زاوية سيدي سالم الرحمانية وشيوخها، شأنه شأن شيخه إبراهيم الذي كان ملازما للشيخ محمد الصالح.⁽²⁶⁾

قدم خدمات جليلة في صفوف الجمعية والحركة الوطنية، وخاصة في دعم الملتقيات وتنشيط المحاضرات.

3- عودته إلى الوادي ودوره فيها:

عندما رجع الشيخ إلى الوادي عام 1938م، تزوج بابنة عمه سكيبة بنت محمد بن الحاج عبد الله بن حميدة، وكان عمرها 14 سنة، فولدت له ولدا اسمه رشيد عام 1939م.

وعاد بصفة نهائية عام 1946 بتكليف من الجمعية حتى يقوم بالدور المنوط به في مسقط رأسه، وتقاعد متحايلا بتقديم شهادة طبية، تؤكد ضعف بصره، سلمت له من طرف طبيبة فرنسية. وبذلك فتح مدرسة قرآنية في حي أولاد أحمد سماها " مدرسة أولاد أحمد للقرآن". وجعلها امتدادا لمدارس جمعية العلماء، فأضحت تستقطب إليها أفواجا من أبناء الوادي وغيره يتعلمون فيها القرآن الكريم والتفسير

ومبادئ اللغة العربية من نحو وصرف وتاريخ وجغرافية وحساب. يقدم هذه الدروس بأسلوب شيق جذاب. وقد تخرج على يده كوكبة كبيرة من التلاميذ،⁽²⁷⁾ تبوأوا مكانة مرموقة، فصاروا إطارات المستقبل للجزائر المستقلة. وكان هؤلاء متأثرين بشيخهم الذي ورثوا عنه نزعة الوطنية والإصلاحية.

إن الشيخ عمل جاهدا على إرساء دعائم النهضة العربية الإسلامية بالوادي، وكان دوما يقول: " كانت الثورات السابقة وطنية وحماسية، غير أن أثرها كان محدودا، لم يتحقق الهدف المرجو منها، وذلك لانعدام الدرغ الواقى والمساعد من الشعب. كما تفتقر هذه الثورات إلى التمويين المستمر. ولهذا يجب توعية الشعب والالتصاق به، لأنه العامل الأساسي لإنجاح الثورة، ومواصلة النضال، حتى يتمكن من الانتقال فيما بعد إلى العمل المسلح.

وهكذا يجب تعليم الشعب لغته ودينه وتوعيته، حتى تكون مساهمته منسجمة وفعالة. كما يجب التعامل مع العدو بحذر، وأن نتكيف مع المستعمر وفق ما تقتضيه الظروف حتى نحقق الهدف المنشود". وكان باب مدرسته بابا متواضعا بسيطا وريديا، وعندما طلب منه تعويضه قال: إذا عوضته بباب جديد سيلفت النظر.

وهكذا طبق الشيخ الهاشمي منهجه في توعية الجيل الجديد تدريجيا، وتمكن من ترسيخ قواعد الإسلام في نفسه. ومن منا لا يعرف الشيخ، أو لا يسمع به وبأسلوبه المتميز، ودروسه المتفوقة والمحبة. لقد علم بإخلاص وحماس منقطع النظير، وبأسلوب ذكي، وصريح وواضح، وبفكر وفهم متطورين ومتقنين. وهذا ما أضحى يقلق السلطات الاستعمارية، فتعرض إلى صدمات وتهديدات، ونفي إلى الزاوية الكحلة الواقعة غرب غدامس حوالي عام 1947م، رفقة الهاشمي بن الحاج محمود ونيسي⁽²⁸⁾. وفي يوم الخميس 01-4-1948، خطب أمام جمهور من الناس شرق زاوية سيدي سالم بسوق الوادي، وقال للحاضرين: تقول العامة عيشوا تحت جناح الذبابة ولا رقاد الجبانة، أي عيشوا تحت ذل الاستعمار الفرنسي. وقد كلفته هذه الحملة الانتخابية السجن مرتين، أي خلال عام 1948، فألقي عليه القبض وحوكم في باتنة بتهمة المس بالسيادة الفرنسية في الجزائر، ومكث في سجن لامبيز Lambèse أربعة أشهر.⁽²⁹⁾ وعند اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر عام 1954م، كان تلاميذه يخافون من كلمة الفلاقة، فقال لهم الشيخ: أنتم المعنيون

بكلمة الفلاحة (أي الإخوة الثوار). وفي عام 1956م أُلقي عليه القبض مرة ثانية، وقضى أربعة أشهر أخرى بسجن الوادي، رفقة الشيخ مصباح سالمى (1912-1997م) وبالقاسم بن مصطفى شكشاكة (عسيلة) (1922-1957م).

وأضحى مسخرا للعمل في الجنان مع رفقائه.⁽³⁰⁾ وكان يحمل له تلميذه محمد بوقطاية إلى السجن كسرة المطبقة التي تصنعها له زوجته سكيئة. وعند خروجه من السجن، سأله تلميذه: هل تحب كسرة المطبقة كثيرا؟ فقال له الشيخ: لا، فقال له تلميذه: كنت أحملها لك باستمرار حينما كنت مسجوناً، فأجابه الشيخ: حقا، ولكن زوجتي كانت تدس في المطبقة رسائل تخبرني فيها بكل المستجدات حتى لا يتفطن العدو.⁽³¹⁾ كما أخبرني عندما كان يدرسنى في مدرسة الوسط، أنه كان يكتب الرسائل إلى المساجين بواسطة الأرقام التي ترمز إلى الحروف، ويجعل من هذه الرسائل مغلاقا لزجاجة حليب تقدم للسجين بواسطة الحارس.

وهكذا يقع الاتصال بين الإخوة داخل وخارج السجن.⁽³²⁾ وقد كان يطلق سراح التلاميذ على الساعة الثانية إلا ربعا من كل يوم أحد، يبعثهم للملعب البلدي المجاور لمدرسته لمناصرة إخوانهم على الكفار كما يقول.⁽³³⁾ وقد التقى به العيد محمدي في رواق السجن في أواخر أكتوبر عام 1956م، وقال له: قيل بأن الرئيس جمال عبد الناصر (1918-1970) سيلقي خطابا هاما، فماذا ترى؟ فقال له: أمهلني حتى أفكر في الموضوع. وعند رجوعه من العمل في الجنان، أجاب الشيخ الهاشمي العيد محمدي بقوله: ليس هناك شيء أهم من تأميم القناة في مثل هذه الظروف. وفعلا تحقق تنبؤه بإعلان الرئيس جمال عن تأميم القناة.⁽³⁴⁾ وفي حوارهم مع بطايون Pierre Bataillon المسؤول السياسي تحت سلطة المتصرف الإداري شالمون، Chalumeau قال له بطايون: أحذرك بأن تشتغل بأولادك وبشؤونك الخاصة، فأجابه الشيخ الهاشمي: هل وجدت عندنا سلاحا؟ فرد عليه: أخشى من تحريضك الذي هو أخطر من السلاح. أما شكشاكة فقال لبطايون: لماذا تحاسبنا وأنت أجنبي وافد من باريس؟ فأجابه: بالنسبة إلي، أعتبر نفسي هنا في أرض فرنسا.⁽³⁵⁾

وكان الشيخ الهاشمي يوصف بالعصريوني، أي خارج عن المؤلف، وهذا من قبل ذوي الأفكار المتحجرة والجامدة، الذين لا يقبلون المناقشة، ولا يواكبون

المستجدات الحديثة.

فهو عند خصومه يعتبر صاحب جرأة في إصدار الفتاوى. وقد حدث أن كان يتردد ليلا على منزل صديقه الشيخ مصباح سالمى ليدرس جماعة من الطلاب اللغة الفرنسية، ومن هؤلاء: الشيخ الصادق قديري، وعلي بن العزوزي بن موسى، ومصطفى سالمى. وأثار الشيخ الهاشمي مسألة تراءى من خلالها أنه يستخف بالإمام البخاري وبعض الأئمة الكبار، فطلب الشيخ العزوزي من ابنه الصادق قديري أن ينقطع عن الدراسة بعد مضي حوالي شهر. وفي إحدى المرات طلب الشيخ الهاشمي من الصادق قديري أن يلتزم الإفتاء من السلطة، فقال الصادق في نفسه إن هذا يسخر مني.⁽³⁶⁾ كما اتهم بأنه لعب دورا كبيرا في إثارة الشقاق بين أولاد العبيدي والشيخ إبراهيم بن عامر. والحق أقول: أن الشيخ الهاشمي كنت لاحظته لا يسلم ولا يكلم الشيخ أحمد عندما يكون عائدا من المدرسة، مارا بمنزله، غير أنني لم أسمع منه قط نقدا أو انتقادا أو انتقاصا من الشيخين الطاهر وأحمد بالرغم من طول المعاشرة التي دامت بيني وبينه، واستمرت أكثر من عقدين. وربما يعود هذا الهجران إلى الجفوة التي حصلت بينهما، بسبب طلاق الشيخ أحمد لعمته جمعة.⁽³⁷⁾

كان يتصف بخفة الروح والمزاح الخفيف، كما كانت فيه دعاية، ومنها أنه قال لنا في إحدى الحصص الدراسية من باب التكتيت، أن التارزي بن موسى الذي كان ضخم الجثة وأكول، لو قلنا له إن حاسي مسعود فيها بترول لقال لنا: هل البترول يؤكل؟⁽³⁸⁾

4- علاقته مع الشعب:

كانت له علاقة مباشرة ومثينة مع الشعب، وخاصة مع المستضعفين منهم. فكان لهم الكاتب، والناصح، والواعظ، والإمام، والمعلم، والأب، والأخ، والصاحب، والمعاون. وهذا كله بدون مقابل مادي محدد.

كما لا تعوزه الشجاعة في التجمعات الشعبية، وفي ملا من الناس بالقرب من قبة سيدي الحاج أحمد، بجوار الملعب البلدي، تكلم الشيخ عن دينه ووطنه بصراحة ووضوح، وكان يستدل دائما بالآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: «وجاهدوا في الله

حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج... إلى آخر سورة الحج. الآية 76. ومثل قوله: « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض. ونوري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ». سورة القصص ، الآية:5.(39)

5- علاقته بالزوايا:

كانت تربط الشيخ علاقة متينة مع الشيخ محمد الهاشمي الشريف(40) وأبنائه، وأبناء أخيه محمد الإمام(41)، الذي كان متزوجا بعمه والده. وكانت الزاوية القادرية بالنسبة إليه أهلا ومأوى في صغره. وكان يقول لنا أنه ينتمي إلى الطريقة القادرية. ويكشف لنا عن سبخته عندما يحتدم النقاش بينه وبين تلاميذه الطرقيين. وهذا لعمرى يعد نوعا من التقية، تجعله في منأى عن الخصام والترهات.

أما علاقته بالزاوية الرحمانية(زاوية سيدي سالم) فحدث عنها ولا حرج، إذ كانت ممتازة جدا، وخاصة علاقته مع شيخ الزاوية محمد العزوزي بن محمد الصالح سالمى(1308-1392م) والشيخ مصباح، هذا الأخير الذي دخل معه السجن عام 1956م، بسبب وطنيته وتضامنه مع القضية الجزائرية.

كان يدعم الأعمال الدينية والخيرية للزوايا، غير أنه لم يكن - والحق يقال- مريدا، بل كان يجاهر بصوت عال بمعارضته لكل ما يخدش مبادئ الإسلام، وخاصة ما يتعلق بالأفكار الخرافية، واعتقادات الأتباع المشعوذين، وكل ما يتعارض وروح العصر.

6- موقفه من قضايا العالم الإسلامي:

صار همه الوحيد هو تحرير شعوب البلدان العربية والإسلامية من الاستعمار، وهذا في كل من الاتحاد السوفياتي وآسيا وأندونيسيا وإفريقيا السوداء. وكان معجبا بأفكار شخصيات النهضة الإسلامية، كجمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، ومحمد رشيد رضا ، وعبد الحميد بن باديس. هؤلاء الرجال الأفاضل، الذين عملوا على تحرير الفكر والنهوض بالأمة من كبوتها، وتعدت أفكارهم المجال الإقليمي الضيق إلى المجال العالمي الرحب.(42)

وبالتوازي لعمله اليومي في المدرسة، كان يستقبل المواطنين في بيته، سواء

للاستشارة في شؤونهم الخاصة، أو لطلب تحرير الرسائل والعرائض. إذ كان يكتب العرائض العدلية والقضائية باللغتين العربية والفرنسية على حد سواء، وهذا لفائدة المواطنين، دون اعتبار لما يدفع له من مقابل مادي. وكان همه الوحيد، هو وضع معلوماته وتجاربه وكفاءته العلمية في خدمة مآرب الأمة.

كما كان يرافع لدى المحكمة في قضايا المواطنين الذين كانوا يقصدونه زرافات ووحادنا ، وكان يستقبلهم بصدر رحب، دون تمييز بينهم.

7- علاقته مع الإدارة الاستعمارية:

عاش الشيخ الهاشمي منذ عودته إلى الوادي مشاكل عديدة أثناء وقبل الثورة، وذلك بالنظر إلى مواقفه الحاسمة تجاه الاستعمار الذي كان يرغب في التقرب ممن هو على شاكلته، حتى يجعل منه عينه الساهرة على كل ما هب ودب، ويزوده بالمعلومات حول الحركة الوطنية ، والقبض على رجالها، والزج بهم في السجون وتعذيبهم. غير أن الشيخ لم يكن من هذا الصنف المأجور الرديء، حيث أن تربيته وفطنته ونزاهته ووطنيته لا تسمح له أن يكون بيدقا لدى الإدارة الفرنسية، وهذا ما سبب له المتاعب، وجلب له المصاعب، فصار تحت أعين الرقابة العسكرية. ثم ألقى عليه القبض وسجن مرتين، قبل وأثناء الثورة، غير أن إرادة الله حاضرة، تكتنفه برعايتها، فتدخل لصالحه، فينجو بأعجوبة، ويفك قيده، مع إبقائه دائما تحت رصد المخابرات . ولولا رعاية الله ولطفه، ولولا يقظته وفطنته، وسحر بيانه، وقدرته على الإقناع والافتناع، وقوة حجته، لكان من المحكوم عليهم بالإعدام في مجازر 04 رمضان من عام 1376هـ / 1957-4-04م.⁽⁴³⁾

كان الشيخ يستدعى للمباحث سواء من قبل السلطات المدنية برئاسة بيار بطايون Pierre Bataillon، أو من طرف السلطات العسكرية بقيادة فوازار فارياش Voisard Wariesh.

وكان يجابههم بشعارهم الذي رفعته الثورة الفرنسية عام 1789م، ويقول لهم: أين مقولتكم التي نادى بها ثورتكم، وهي: الحرية والمساواة والإخاء؟ (Liberté–Egalité–Fraternité) ويردف قائلا: أنتم علمتمونا الفرنسية، وأنتم تبيعون لنا صحفكم وتقولون لنا اصمتوا.⁽⁴⁴⁾

أحضر الشيخ من جديد عام 1959م من قبل مصالح المخابرات (المكتب الثاني العسكري) Bureau ه 2 بقيادة الضابط الشاب ابن ماكس لوجان،⁽⁴⁵⁾ Max Le Jeune وزير المستعمرات، وأجبر على أن يشترك في الحملة الأولى للانتخابات البلدية⁽⁴⁶⁾ التي أجريت في 05-4-1959م⁽⁴⁷⁾. وعندما خاطب المعمر روبيسكي⁽⁴⁸⁾ Robuschi Marcel الجمهور في قرية تكسبت، تلاه الشيخ الهاشمي، فقال: هذا جعل لكم مخمرة، وأنا فتحت لكم مدرسة، وانظروا ماذا ترون؟ غير أن الانتخابات زورت، ونجح روبيسكي ومن معه في الوادي وتكسبت، فأصبح المستشار العام للبلدية، وهي انتخابات أنشأها النظام الديغولي، من أجل تكوين قوة ثالثة⁽⁴⁹⁾ Troisième force، في إطار حملة بيسيكولوجية شنّها على الثورة لعرقلتها، وصرف الشباب عن الالتحاق بصفوفها، بعد أن خسر الحملة العسكرية.

غير أن ذلك لم يكن مجدياً، لأن الشعب تعلق بالاستقلال، فكان على الشيخ ومن على شاكلته أن يقبل أو يتعرض للاستنطاق أو السجن وما إلى ذلك. مع العلم أن الإدارة الفرنسية متأكدة من أن الشيخ الهاشمي ليس له في هذه الانتخابات لا ناقة ولا جمل. ومع ذلك فقد تعرض لمضايقات شتى، من قبل الحاكم العسكري فوازار Voisard Wariesh، الذي حكم من عام 1954 حتى عام 1960م، رفقة بطايون (1950-1960م)، Bataillon. ذلك الضابط المغرور بطول قامته وضخامة هيكله العظمي، ذو الأصول الجرمانية، الذي يتمتع بجميع السلطات التي تمكنه من التعامل مع الوطنيين كيفما شاء، دون حسيب أو رقيب. وكان هذا الضابط من ألد أعداء الثورة. عايش جميع المعارك الكبرى التي وقعت في ناحية سوف، بدءاً بمعركة غوط شيكة⁽⁵⁰⁾ التي دامت ثلاثة أيام، أي في 8 و9 و10 أوت من عام 1955م بقيادة حمه الأخضر، والتي ذاق فيها الاستعمار أبشع الهزائم، حيث جاء جاك سوستال⁽⁵¹⁾ Jacques Soustelle شخصياً لمعاينة الخسائر. كما شهد معارك أخرى مثل معركة الديبديبي بالرباح في 15-01-1956م وغيرها. فأحدثت في نفسه حقداً عنيفاً تمثل في أحداث مجازر رمضان عام 1957م الشهيرة. استدعاه هذا الضابط في تكنته، للمثول أمامه واستنطاقه، بتهمة التحريض وإحداث البلبلة. وكان ذلك بإيعاز من روبيسكي. بيد أن الشيخ بحنكته وحسن تدبيره، غير مجرى الأمور إلى جانبه. وما كان على هذا الضابط المتعجرف، إلا

أن وضع سلاحه، وأقر بهزيمته أمام قوة الشيخ في إقناع خصمه، فأخلى سبيله. ومثل هذا الموقف، يندر حدوثه وتقبله من طرف الاستعمار الذي لا يقترب سوى التعذيب والتكيل أثناء الاستنطاق.(52)

8- دوره بعد الاستقلال:

بعد حصول البلاد على استقلالها عام 1962م، كان عمر الشيخ ستين سنة، ورغم ذلك نراه لا يألو جهدا في أن يتبوأ منصب معلم في المدرسة الجزائرية مثل الشباب الطامحين، سنده في ذلك القول الماثور(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا). أحدث الشيخ هزة عنيفة في الأساليب التقليدية في طريقة التحصيل، فصار يلقن طلابه وفق الأساليب العصرية، وبكيفية شيقة، قلما نلاحظها لدى غيره من المدرسين، ولاسيما في عصره.

كما أحدث نهضة فكرية واجتماعية رائدة. إذ كان يلقننا الدروس في مختلف المواد، من لغة وتاريخ وفرنسية وإملاء وإنشاء ومحفوظات. كما كان يعرفنا على أنواع الموسيقى والأوزان الشعرية. بل، وللتاريخ أشهد، أنني كنت أحظى لديه بمكانة متميزة على أقراني، إذ كان يخصص لي جزء من السبورة، يقدم لي فيها دروسا خاصة في النحو، وذلك لتفوقني الملحوظ في هذه المادة على زملائي. ويكلفني في كثير من المرات بإعراب جميع النص المكتوب على السبورة، فكنت أحضر نفسي بالرجوع إلى كتاب النحو الواضح بجميع أجزائه، كما أعود إلى الكفراوي في إعراب متن الأجرومية، والأزهري في شرح الأجرومية. هكذا كنت أحضر نفسي استعدادا لما قد يطلبه مني شيخي وأستاذي وملاذي الشيخ الهاشمي، الذي تأثرت به كثيرا. كما كان يزودني بالكتب التي يراها هو مناسبة لي، أو التي أطلبها منه، مما جعلني أوصل دراستي إلى نهايتها. وأشهد أنه لم يطلب مني أبدا إرجاعها، إلا عندما أعيدها وحدي، ولو بقيت عندي أعواما. وللتاريخ أذكر: أنني ذهبت إليه في أحد الأيام أستعير منه كتاب تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، متوسطا لقائد القطاع العسكري(53)، الذي كان مهتما بالتاريخ، وعندما بيئت من إعادته بعد مدة طويلة، اشتريت له الكتاب وأرجعته إليه دون علمه.

كان أثناء إجراء الامتحانات الرسمية يعمل على تقديم يد المساعدة للتلاميذ الذين هم في حاجة ملحة إلى ذلك، وهذا نظرا إلى المستوى المتدني في اللغة

العربية، والخوف على هؤلاء من الرسوب أو الطرد.

وكان يرتدي اللباس التقليدي من عمامة وجبة وسروال، وكان يشفق عنا لارتدائنا اللباس الإفرنجي على اعتبار أنه غير مناسب، ولا يتلاءم مع مناخ المنطقة.

ومن الطرافة أقول إنه كان يلقتنا درسا في علم(الفياقة)⁽⁵⁴⁾، فيعرض علينا نماذج من مواقف الناس الرعناء، وينبهننا إلى طرق التخلص منها، ويعطينا الحلول المناسبة، فرسخت في أذهاننا هذه النصائح، وترسبت في نفوسنا، فكانت لنا بمثابة المشكاة، التي أنارت لنا الطريق للتخلص من عبث العابثين، ومكر الماكرين.

واصل الشيخ مشواره التعليمي، فتقدم إلى إجراء الامتحان التطبيقي في سلك الممرنين خلال السنة الدراسية 1966-1967م. وكان رئيس لجنة الامتحان المفتش إسماعيل عمراني، أحد تلاميذه القداماء، وكان النجاح حليفه، مما جعل عنقه تشرئب نحو التطلع للمزيد من الانتصارات والتفوق، فتقدم مرة أخرى لخوض غمار امتحان شهادة الأهلية، ولم يظفر بالنجاح مرة، لاحتواء الامتحان على مادتي الجبر والهندسة، اللتين لا يحسنهما الشيخ، اعتبارا لتعليمه التقليدي الذي ورثه عن شيوخه القداماء، ومع ذلك أسعفه الحظ، ونال هذه الشهادة يوم 18-10-1967م، فارتقى إلى صف الأساتذة في مادة اللغة العربية، في متوسطة ابن باديس بالوادي، وسمي أستاذا بالأقدمية، وهذا ابتداء من أول أكتوبر 1964 حتى 31 ديسمبر 1979م، وترسم بعد حصوله على الأهلية، حتى تقاعد في فاتح جانفي 1980.⁽⁵⁵⁾ وبالرغم من ذلك، ما فتئ يواصل نشاطه المعهود، فكان يكتب للمواطنين الرسائل والشكاوى، ويحرر العرائض، ويعين الناس على قضاء حاجاتهم، ويتوسط لطلاب القداماء، إذا لاذوا به، لدى أصحاب النفوذ من معارفه وتلاميذه. ومن ذلك أنني التجأت إليه يوما للتوسط لدى مدير ثانوية عبد العزيز الشريف، الأستاذ مصباح مصباحي، لمساعدتي في إيجاد منصب بالثانوية⁽⁵⁶⁾، فأحالني هذا الأخير على مدير ثانوية طريق توزر (سعيد عبد الحي) لانعدام المنصب عنده، فوافق على ذلك، ونجحت المحاولة. وإليك نص الرسالة:

إلى الابن البار السيد المدير بالتأليف
 ورحمة الله وبركاته وبعد- فإن حامل رسالتي هذه هو من
 أحسن تلاميذي- وعمل على العمل هنا في سوف وقد
 جاءكم- وأجتموه - بأنه ليست لديكم - مكانا شاعرا-
 (هكذا) وبما أنه أشير أو أشترم عليه بالوجه نحو- السيد
 قرقي أو مناني الأمين ثانوية بوشوشة- وحيث أنه لا وزن له
 عندهم - فإنه جاءني ورأيت أني- أكلفكم باستعمال نفوذك
 مع الأخوين المذكورين- قرقي وسي الأمين عليكم تحصلون
 على حصيلة هي بالنسبة إلينا من أسمى العطايات- والسلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد ربه حسني

الهاشمي

بالوادي

المدير المحترم الوادي 19-09-79
 ابني البار السيد - المدير بالتأليف
 بالوادي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 وبعد- فإن حامل رسالتي هذه هو
 من أحسن تلاميذي- وعمل على العمل هنا في سوف
 وقد جاءكم- وأجتموه - بأنه ليست لديكم -
 مكانا شاعرا- وبما أنه أشير
 أو أشترم عليه بالتوجه نحو- السيد قرقي
 أو مناني الأمين ثانوية بوشوشة-
 وحيث أنه لا وزن له عندهم- فإني
 أكلفكم باستعمال نفوذك مع الأخوين
 المذكورين- قرقي وسي الأمين عليكم
 تحصلون على حصيلة هي بالنسبة إلينا
 من أسمى العطايات- والسلام عليكم
 ورحمة الله وبركاته
 عبد ربه حسني
 الهاشمي
 بالوادي

هكذا كان يتعامل مع تلاميذه، يخدمهم ويساعدهم حتى آخر رفق من حياته.
 فجزاه الله عنا خير الجزاء، وأجزل له حسن الثواب.⁽⁵⁷⁾

9- نشاطه الثقافي في دكان محمد الصالح الخياط بسوق الوادي:

كان يتردد يوميا على دكان محمد الصالح⁽⁵⁸⁾ (1921-1999م) بن محمد
 ساسي. هذا الدكان البسيط، الواقع شمال غرب سوق الوادي، والذي لا تتعدى
 مساحته (2,5م x 3م) أضحى مع مرور الزمن منتدي، يجمع ثلة من الناس، لتبادل
 الآراء حول ما يستجد في العالم من أحداث، خاصة منها الأحداث السياسية. وكان
 هذا الدكان مجاورا لدكان آخر قريب منه، يجمع بدوره علماء ومستمعين ومستفتين،
 يفدون من كل حدب وصوب، للاستفادة والإفادة غير أنهم بخلاف جماعة الدكان
 الأول، ينتمون إلى الطرق الصوفية، ولم يكن هناك اتصال بين الفريقين، ولعل ذلك
 يعود إلى اختلاف المشارب. بل وأكد بأن الطائفة الأولى، تنتمي للحركة الإصلاحية
 ، أما الطائفة الثانية، فتتنتمي للحركة الصوفية. والحق أقول، بأنه لم يسجل مرة
 حدوث أي صدام بين الجماعتين، رغم الجوار والاختلاف، وهذه- لعمري- هي

الديمقراطية الحقّة.

كانت فترة الستينيات وما سبقها، تعج بالأحداث الجسام، التي غيرت وجه الخريطة السياسية للشرق والغرب على حد سواء. كما كانت مرحلة هامة في تحرير الشعوب واستيقاظها من سباتها. ومن هذه الأحداث:

- انتهاء الحرب العالمية الثانية وتداعياتها في 08-5-1945م.
 - حصول بعض البلدان العربية على استقلالها مثل: سوريا ولبنان عام 1946م، والأردن عام 1948م.
 - قيام دولة إسرائيل في 14-5-1948م، برئاسة دافيد بن غوريون David Ben Gourion
 - اندلاع حرب كوريا عام 1950-1953
 - قيام ثورة الضباط الأحرار بمصر يوم 23-7-1952م بقيادة اللواء محمد نجيب (1901-1984م) والباكباشي جمال عبد الناصر (1918-1970م)
 - اندلاع الثورة الجزائرية في 01-11-1954م ، بعد هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو، Diên Biên Phủ بشمال الفيتنام، والتي دامت 55 يوما (من 13 مارس إلى 07 ماي 1954م).
 - حصول كل من المغرب وتونس على استقلالهما، على التوالي: 03 مارس و 20 ماي من عام 1956.
 - اعتقال الزعماء الخمسة الجزائريين، في 22 أكتوبر عام 1956م، وهم: حسين آيت أحمد- محمد بوضياف - محمد خيضر- أحمد بن بلة - مصطفى الأشرف.
 - هجوم العدوان الثلاثي على مصر، في 29 و 31 أكتوبر 1956م ، بعد قيام الضباط الأحرار بتأميم قناة السويس في 26-7-1956 .
 - قيام الجمهورية الفرنسية الخامسة، برئاسة الجنرال ديغول في 09-01-1959م، بفعل ضربات الثورة الجزائرية.
- كل هذه الأحداث وغيرها، كانت تشكل مادة للبحث على غاية من الأهمية. وكان الشيخ يحضر باستمرار وانتظام، إلا إذا شغله شاغل. وكان يتروي في ركن من أركان الدكان ويجلس حوله المنصتون، فيطلب منهم الشيخ سرد ما سمعوه من أخبار، ثم يتدخل في النهاية ليلق على الأحداث المعروضة عليه بأسلوبه المتميز، على أساس الإقناع والاعتناع، وهكذا دواليك.

كان فصيح اللسان، قوي الحجة، يتصف بالجد مع التواضع، مرحا، بشوشا،

سريع البديهة ، ذكيا جدا، محيطا بكل مجريات الأحداث. وهذا راجع إلى علاقته الطويلة بالميدان السياسي ، ومستواه الثقافي المزدوج والمتفوق في آن واحد.

كان إنسانا اجتماعيا بطبعه، يحب الناس ويحبونه، إلا ما ندر من الخصوم والمخالفين له في الرأي. وبالرغم من ذلك، لم نسمع أبدا أنه اصطدم بأحد. كما كان حريصا على الالتقاء، يكره العزلة والانفراد.⁽⁵⁹⁾

10- أدائه لفريضة الحج ثم وفاته:

ذهب لأداء فريضة الحج يوم 15 نوفمبر من عام 1977م. وبعد إتمام مناسك الحج والعمرة، عاد إلى الوادي يوم 15 ديسمبر من نفس العام.

وهكذا كانت أيامه كلها جهادا وجلادا، إلى أن بدأ يفقد الذاكرة في نافلة العمر. ومع ذلك، كان رفاقؤه ومحبوه يزورونه في بيته، فيستقبلهم ويقدم لهم الشاي، وما رافقه من إكراميات، ولا يبنّبك مثل خبير.

أصيب الشيخ بمرض عضال، لازمه مدة تقارب العامين، فنقل للعلاج بمستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة، وأجريت له عملية جراحية. غير أن أجله المحتوم وافاه هناك ، فتوفي في آخر يوم من فصل الخريف، يوم الثلاثاء 29 ربيع الثاني 1410هـ/28 نوفمبر 1989م، عن عمر مليء بالنشاط، يناهز 87 عاما. ودفن بمقبرة أولاد أحمد ، في الجهة الشمالية الغربية منها. رحمه الله رحمة واسعة، ولا شك أنه من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أجزل له الأجر والثواب.⁽⁶⁰⁾

11- نموذج من نثر الشيخ الهاشمي يتعلق بتقديمه لكتاب شيخه إبراهيم بن عامر « الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ».

عاش شيخنا المرحوم، سيدي إبراهيم بن عامر، ظرفا كان فيه ثائرا ومعلما ومناضلا. ظرفا كان فيه الوحيد، يواجه عدوا ليس متمثلا في الاستعمار فحسب، بل كذلك فيمن يحسبون أنفسهم من علماء الإسلام في ذلك العصر. هذا بالإضافة إلى ما كانت عليه منطقة سوف من ظلمات التأخر، ومن الانحراف الديني والاجتماعي.

خرج الشيخ إبراهيم إلى دنيا العمل، وقد أتم دراسته بتونس، فوجد منطقة سوف ونواحيها ترضخ لحكم استعماري عنيف، مكبلة بنظام عسكري شديد، قوامه

السيطرة على العقول وإخضاع النفوس، وبت الشقاق والتفرقة بين القبائل، بل بين أفراد العشيرة الواحدة، أو الأسرة الواحدة. ولم يكن حينئذ من وازع، ولا قيس للدين، إلا ما يجيده البعض من تلاوة القرآن، فضربت الجهالة أطناها، وكادت تسود أخلاق الجاهلية الأولى كامل منطقتنا.

فكان اختطاف الفتاة قصد التزوج بها رغم إرادة أهلها وذويها. إذ يذهب الشبان فيختطفون أو يفتكون الفتاة، ثم يسيرون بها إلى حيث يريدون، من الزوايا أو أسرة أحد الوجهاء، فيودعونها بها، إلى أن يرضخ أب الفتاة أو وليها لعقد زواجها بمن شاءها، خوفا من الفضيحة والعار. وأذكر أن أولى صرخات الشيخ إبراهيم كانت لمحاربة هذه الظاهرة الشنعاء، والعادة النكراء.

وكان التنافر والتناحر بين القرى والعشائر، بحيث لا تكاد تخلو عندهم مناسبة من المناسبات، أو موسم من المواسم، من التصادم والتقاتل بالعصي والدبابيس وحتى بالخنجر إذا ما احتدم الخصام، واشتد التراع.

وانقسام الأهالي فيما بينهم، واختلافهم باختلاف الطرق، ما بين قادري وتجاني ورحماني وعلوي وغيرها، مع تضارب أهداف هذه الطرق، وتباين مشاربها.

وأخيرا انغماس الشيبية انغماسا كليا في اللهو والخمر والميسر، وما إلى ذلك من المحرمات التي لم تلق صوتا يوقف انتشارها، ولا ناهيا يزيل خطبها.

ذلك هو جانب من الوضع الذي كانت عليه المنطقة يوم أن ظهر المؤلف على مسرح الحياة، يوم أن برز وحده إلى الميدان، رافعا صوته عاليا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا يبالي بغضب الغاضبين، ولا بسخط الساخطين.

رفع صوته لإصلاح ما كان فاسدا. وقد رسم لكفاحه خطته المستوحاة من ذكائه الوقاد. فذهب رحمه الله يجمع الناس حوله بعنوان مسامرات دينية، ودروس في تفسير القرآن، أو شرح سيدي خليل⁽⁶¹⁾، وذلك يوميا بعد صلاة المغرب، بجامع النخلة بحي أولاد أحمد.

كانت مسامراته ودروسه مركزة على التوعية وإيقاظ الضمائر. فاستطاع بفضل ما جبل عليه من فصاحة وصرافة، أن يجمع حوله الكثير من الأتباع، بل

قلما كان يتخلف من أهل الوادي عن دروسه والاستفادة من تعليماته. وتوصل بفضل ما عرف به من شجاعة أدبية ، وغيره وطنية، أن يهدي الله على يديه خلقا كثيرا.

لم يقتصر نشاط الشيخ في نشر التوعية عن مسامراته الليلية، بل اقتضى بعد نظره اتخاذ الطرق، أعني الزوايا باختلافها، وسيلة أخرى لبلوغ هدفه، لأن الزوايا في ذلك العهد، كانت الرباط الوحيد للدين، ولأنها تضم العديد من طلاب القرآن. لذا، فكر الشيخ في ربط صلته بها جميعا، والانتماء إليها دونما تحيز.

فقد ولد الشيخ إبراهيم عام 1881م في أسرة تجانية. إذ كان أبوه محمد الساسي تجانيا. ومن عجائب الصدف أن ظرفا من الظروف جعلت الشيخ ينتقل مع أمه إلى أسرته القادرية بأولاد أحمد، وفي منزل بالشارع الرئيسي الذي كانت تمر به مواكب الطريقة القادرية. فكانت تلك فرصة جعلته يربط صلته بالطريقة المذكورة، وبذلك أصبح الشيخ تجانيا قادريا.

بقي له حينئذ أن يتعرف على الزاوية الرحمانية، أعني زاوية سيدي سالم، فتم له ما أراد ، حينما عبر في كتابه(البحر الطافح)⁽⁶²⁾ عن إعجابه بالشيخ سيدي محمد الصالح، رئيس الزاوية إذاك. أعجب به لأنه كان يدير معهدا يضم زهاء السبعين طالبا من الشاوية والنمامشة. تتولى الزاوية إيوائهم وتعليمهم القرآن، والإنفاق عليهم. أضف إلى ذلك عدد الطلاب المحليين. ولا غرو أن تكون أريحية الشيخ إبراهيم في ذلك لاثقة بتلك الانفجارات التي جاءت له في كتابه (البحر الطافح). فالحقيقة التي كان يحوم حولها كلام الشيخ، هي حقيقة الإسلام المنحصرة في النبع الصافي، الذي سرى بأرض واسعة من الجزائر، على هدي القرآن إلى أن جاء نصر الله.

اتخذ الشيخ رحمه الله هذه الزوايا وسيلة للتذكير بالمبادئ الإسلامية، وإحياء اللغة العربية التي آلت إلى زوال بإعراض الناس عنها، وإقبالهم على اللغة الفرنسية. فعلت صرخته من أجل ذلك في دروسه، ومن خلال كتاب (الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى).

كان الشيخ إبراهيم من جلساء شيخ الزاوية، والمدير والمعلم. وكانت اللغة التي

اختارها لجلب الجماهير، لغة القرآن والدين، إلى أن كون لنفسه صفا، انضم إليه المئات من الزقم والبهيمة وحسي خليفة وعميش وغيرها. وبذلك علا صوت القرآن، وانتشر في الآفاق. وتكونت طبقة من الشبان المثقفين، وجمع كبير من المثقفين.

وأذكر أيضا أنه كان - رحمه الله- يخرج بعد كل عشاء من داره، فندخل معه منزلا خاصا بندواته، ليلقي علينا مسامرات حول السياسة وأخبار المجاهدين بحرب طرابلس ضد الطليان، أو حرب تركيا مع البلقان، أو غير ذلك. وقد تتواصل هذه الندوات إلى منتصف الليل.

وكان شرب التاي يوميا وما تبعه من كرمه الحاتمي، وكأننا دائما في أعياد. أما نضاله داخل المحكمة الشرعية، فقد ألبس المحكمة ثوبها الحقيقي. فنظم الأحكام، وطبق كل شيء حسب الفقه الإسلامي، لاسيما مذهب الإمام مالك. كما كان المرجع والمفتى في جميع القضايا. وإن حادثة الأرامل اللواتي قتل أزواجهن، وأغير على إبلهن في حدود صحراء طرابلس، وتآمر الحكام العسكريون عندنا إذاك على الاستئثار بجزء كبير من الدية المالية التي أرسلتها الحكومة الإيطالية لأرامل المتعدى عليهم، ثم وقوف الشيخ في وجه المتآمرين وكشف خيانتهم للأمانة، لأكبر شاهد على نصرته للحق والعدالة، ودفاعه عن مصلحة الضعفاء، وبغضه للظلم والظالمين.

حلت أخيرا ب حياة الشيخ فترة فقد أثناءها نخبة من أنصاره. مات فيها صهره الشيخ محمد العربي⁽⁶³⁾، ومات الشيخ محمد الصالح عام 1918م⁽⁶⁴⁾، والشيخ عبد الرحمن العمودي⁽⁶⁵⁾ ورحل الشيخ البشير بوكوشة⁽⁶⁶⁾ إلى بسكرة، فبقي الشيخ إبراهيم وحده، يعالج الظروف ليرضي ربه وضميره. واستمر في صراع مع الأوضاع، إلى أن أبعد تماما إلى بلدة أولاد جلال، ثم إلى تقرت، وبها أصيب بمرض أودى بحياته.

وأخيرا أقول: كانت أيام الشيخ إبراهيم كلها جهادا وجلادا. ومع الأسف، لا يسمح لي المقام بالتعرض إلى تفاصيل مواقفه البطولية، ولا بذكر أمور تدعو إلى الإعجاب، خصني بالاطلاع عليها، لأن المطلوب هنا الاختصار.

فرحم الله أستاذاً وشيخاً إبراهيم بن عامر رحمة واسعة، ولا شك أنه من الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون. (67)

حسني الهاشمي أستاذ اللغة العربية بوادي سوف

الخاتمة

- ومما سبق، نستنتج أن الشيخ الهاشمي:
- قد قام بدور رائد في ميدان التربية والتعليم لمدة ستين عاماً، وتخرجت على يديه أجيال تبوأَت مناصب عليا سواء أكانت إصلاحية أم سياسية أم ثقافية أم تربوية.
 - ساهم مساهمة فعالة في الحركة الإصلاحية الجزائرية بعد انخراطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعرض نفسه لأذى المعارضين له.
 - كان واسع الاطلاع على قضايا العالم الإسلامي، وكان همه هو تحرير الشعوب العربية والإسلامية من يرثن الاستعمار الغاشم.
 - كانت له تنبؤات غالباً ما تحققت مثل تنبئه في قضية تأميم قناة السويس عام 1956م.
 - كان يتصف بالفطنة وقوة الحجة وسرعة البديهة، ولولا ذلك لكان في عداد شهداء مجزرة 04 رمضان 1376هـ/04-04-1957م.
 - كان مسبلاً نفسه في الدفاع المستميت عن قضية وطنه العليا، وسجن مرتين، قبل وأثناء الثورة، وترشح للانتخابات البلدية عام 1959م لترجيح كفة الوطنيين، بيد أن الإدارة الاستعمارية قد قامت بتزوير النتائج لفائدة بيادقها.
 - وهكذا تتجلى لنا مواقف الأبطال الذين قلما يوجد الزمان بمثلم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

الهوامش

- 1- حسبما ورد في نسخة من الدفتر الأصلي لشهادة الميلاد رقم 6214 مؤرخة في 31-01-2007.
- 2- تقع في دائرة بئر مقدم التي تفصلها عن مدينة الشريعة حوالي 10 كم. تسكنها قبائل التكاكة وهم فرع من النمامشة.
- 3- ولد محمد الأمين بن محمد الإمام، بالوادي خلال عام 1890م. دخل الكتاب وحفظ القرآن على يد الحاج أحمد عسيلة. كان على خلاف كبير مع ابن عمه الشيخ عبد العزيز في موقفهما من الثورة. أدى فريضة الحج عام 1929م، ثم مات مقتولاً عام 1955م، في خنقة تامغزة بتونس بتهمة الدعاية ضد الثورة. ودفن بجوار جده سيدي إبراهيم بنفطة.

مقابلة شخصية مع الإمام الشريف(ابن المترجم له، ومجاهد متقاعد) بمنزله بالوادي يوم الجمعة 15-6-2007 م، على الساعة 10 و 30 د.

4- الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بن علي بالقائد الحمدي(قائدي). ولد خلال عام 1877م في قرية طريفواوي. درس القرآن الكريم في جامع النخلة بحي أولاد أحمد منذ عام 1898م حتى وفاته عام 1943م. سكن في حي أولاد أحمد قريبا من جامع النخلة. توفي بالوادي، ودفن في مقبرة أولاد أحمد.
مقابلة مع العربي حمدي تلميذ الشيخ، يوم الجمعة 22-02-2008، على الساعة 11 و 30 د بسوق الوادي، ومقابلة مع صالح مصطفىواوي، تلميذ المترجم له يوم الثلاثاء 29-4-2008 على الساعة 17 و 30 د.

5- علي غنابزية: بيوت عامرة، إذاعة سوف، الوادي، سبتمبر 2003.
6- الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد بن الجديد، ولد بالوادي خلال عام 1882م. اشتهر بغزارة العلم والذكاء الحاد، وسرعة الالتقاط والبديهة، بالرغم من أنه كان كفيف البصر. كان يحفظ الصفحة الكاملة عن ظهر قلب وفي أسرع ما يمكن من الوقت. وكان يقول(شرف العلم أقوى من شرف النسب). علم بزاوية سيدي سالم، وكان يتردد على زيارة بلدتي تقرت وتماسين. ومكث مدة طويلة يعلم في زاوية تماسين، وقد تخرج على يديه مجموعة من العلماء أشهرهم: الشيخ أحمد الذي تولى مشيخة الزاوية التجانية مدة 40 عاما. تتلمذ عليه الهاشمي حسني الذي درس عليه العاصمية (متن يتعلق بالأقضية والأحكام) والتفسير، وأيضا محمود بن محمد القروي. توفي بتماسين ودفن بها خلال عام 1937م.
انظر: مقابلة شخصية مع رشيد حسني(ابن المترجم له) بمنزله، بحي أولاد أحمد، بالوادي يوم 05-6-2007، ومقابلة مع الشيخ أحمد خراز يوم الجمعة 25-4-2008 على الساعة 6 و 30 د.

7- إبراهيم بن عامر(1875- 1932م) ولد بحي المصاعبة بالوادي عام 1292هـ/1875م. درس على يد الشيخين: عبد الرحمن العمودي ومحمد العربي بن موسى مبادئ اللغة والفقه، ثم نصحه الشيخان بالتوجه إلى تونس لمتابعة الدراسة بجامع الزيتونة، وهناك درس على يد كوكبة من العلماء الأفاضل، ثم رجع إلى مسقط رأسه، وسكن بجوار منزل جده من الأم بحي أولاد أحمد. شارك في امتحان العدول بمجلس تقرت عام 1905م. ثم بدأ العمل بالمحكمة الشرعية بكوينين، بقرار حكومي يوم 14-11-1910م، بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في جامع السوق وجامع النخلة بأولاد أحمد. تخرج عليه ثلة من العلماء منهم:

الشيخ الأزهاري الحرزولي والمترجم له. حول إلى بلدة أولاد جلال يوم 31 - 12-1927م، لسخط الإدارة الاستعمارية عليه. وتلمذ عليه هناك الشيخ نعيم النعيمي والشيخ زهير الزاهري. ثم حول إلى تقرت في مارس 1930م. وعندما مرض، رجع إلى الوادي، فتوفي فيها مساء يوم الأربعاء 14 ربيع الأول عام 1351هـ/20 جويلية 1932م بسطح منزله. ودفن في الجهة الجنوبية من مقبرة أولاد أحمد بالوادي.

انظر: حسني الهاشمي، نبذة من حياة المؤلف ص 12 في كتاب الصروف للشيخ إبراهيم العوامر. حمزة بوكوشة: تمهيد ص19-20 في كتاب الصروف للشيخ إبراهيم العوامر. ارجع أيضا إلى:

Dossiers du personnel de la justice Musulmane .
C.0175,T.S. ANA.

8- ولد الشيخ الأزهاري الحرزولي(1903-1986م) بن الطالب صالح بن أحمد بالوادي خلال عام 1903م. كان أبوه تاجرا وخياطا وطالب قرآن ومستمعا. ساعده الشيخ الأزهاري في عمله بعد أن قرأ القرآن في زاوية سيدي سالم على يد الشيخ العيد بن أحمد بن بكار. وعندما أتم حفظه، واصل دراسة اللغة العربية والفقہ على يد الشيخ إبراهيم بن عامر، ثم الطاهر العبيدي وأخيه أحمد وعثمان بن حميدة ، ومحمد بن حمد النفطي. ثم توجه إلى جامع الزيتونة عام 1932-1933م هروبا من والده لمتابعة الدراسة، ولكنه عاد إلى الوادي ، ثم رجع إلى تونس، ليملك فيها سنتين ثم يعود ليقوم بالتدريس متطوعا في جامع أولاد خليفة وجامع السوق.

وبعد الاستقلال، عين إماما ومدرسا بجامع ضواي روجه بالوادي. كان يدرس النحو والفقہ المالكي، مثل: رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومتن الشيخ خليل. وكان يحفظ ألفية ابن مالك. وافاه أجله المحتوم ليلة الجمعة 27 صفر من عام 1406هـ/31-10-1986م، عند منتصف الليل، ودفن بمقبرة الأعشاش بالوادي. مقابلة شخصية مع مسعود الحرزولي بن الأزهاري يوم 27 - 06 - 2007 م بجامع سيدي سالم بالوادي، على الساعة 10 و 45 د.

9- الشيخ أبوبكر بن موسى بن محمد، وأمه مسعودة بنت بكار. ولد بالوادي خلال عام 1901م، وحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا في زاوية سيدي سالم، على يد خاله العيد بن بكار. ثم درس على الشيخ إبراهيم بن عامر ، وربما أيضا على الشيخ محمد بن الجديدي والشقيقين الطاهر وأحمد العبيدي. وتزامن في دراسته

مع الشيخين: الأزهاري الحرزولي وحمزة بوكوشة. تابع تعليمه في المدرسة الأهلية بالوادي، وارتقى في أحضان الحركة الوطنية. وبعد استقلال الجزائر، تولى منصب مدير للمعهد الإسلامي بالوادي عام 1965م. كان الشيخ أبوبكر سخيا جدا لدرجة الإفراط. وقد يتبرع حتى بملابسه على المحتاجين، لكنه من جهة أخرى شديد الغضب في الحق. توفي بالوادي في 01 أوت من عام 1975م، ودفن بجبانة الأعشاش.

مقابلة شخصية مع موسى بن موسى (حفيد المترجم له)، بالمركز الجامعي بالوادي، يوم الأربعاء 13 جوان 2007 م، على الساعة 9 و40 د، علي غنايزية: بيوت عامرة، إذاعة سوف، الوادي، 1997م.

10- هو الشيخ حمزة شنوف المدعو بوكوشة. ولد خلال عام 1907م بالوادي. تلقى المبادئ الأولية في اللغة العربية وقواعدها في بسكرة، ثم درس في سوف على يد الشيخ إبراهيم بن عامر والطاهر العبيدي ومحمد بن الجديدي. ثم تحول إلى جامع الزيتونة وعمره 17 عاما. وتحصل فيه على شهادة التطويق عام 1930. كان من أعضاء جمعية العلماء المسلمين المؤسسين. وتقلد فيها مناصب عديدة، فكان المعلم والكاتب والصحفي. وبعد الاستقلال، عمل في ميدان التعليم والقضاء إلى أن توفي بالجزائر يوم الجمعة 14 جمادى الثانية من عام 1415هـ / 16-11-1994م، ودفن في مقبرة القطار بالعاصمة في اليوم الموالي.

انظر: علي غنايزية، « مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920-1938م، مجلة البحوث والدراسات»، العدد الأول، أبريل 2004، المركز الجامعي بالوادي، ص126، و « العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة - مسيرة إصلاح - ». صحيفة النبأ، العدد 184، الجزائر، 26-12-94 إلى 01-01-95.

11- ألف الشيخ إبراهيم بن عامر مجموعة كبيرة من الكتب منها: البحر الطافح، ورسالة تسمى الجواهر الحسان في بعض ما يتعلق بالمعلمين والمتعلمين من حملة القرآن، وحاشية على رسالة الشيخ سيدي محمد البخاري العقبي، سماها: نيل المرام من رسالة كشف اللثام، وحاشية على شرح السنوسي الكبير، وحاشية على الشذور، وشرح متن الشيخ ابن عاشر المسمى المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وشرح متن الأجرومية في قواعد النحو، وشرح رسالة الأخضر في الحساب، وشرح رسالة سيدي محمد الرقيق في مبطلات الصلاة وشرح النظم المسمى بالتبر الصافي في نظم الكافي في علمي العروض والقوافي، ورسالة منظومة في الفلك، فيها قريبا من خمسمائة بيت، ورسالة

أخرى في الفلك والجدول والتربيع نثر ، ورسالة أخرى في الفلك تتعلق بالسنة القمرية فقط، ورسالة في الصرف، متن وشرح، ورسالة في القضاء نظم، ونظم الورقات في الأصول، ورسالة في الأربعاء الأكل، ونظم قطر الندى وبل الصدا، ونظم في الأدب، وتقريرات على حاشية الباجوري على الجوهرة في التوحيد، وتقريرات على كتاب الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي. انظر: البحر الطافح ص48.

12- الشيخ الطاهر العبيدي(1886-1968م) بن لعبيدي بن علي. ولد بالوادي عام 1304هـ/1886م. درس بها على يد الشيخين: عبد الرحمن العمودي والعربي بن موسى. ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، فتلقى العلوم على يد شيوخ عظام مثل: الخضر بن الحسين، والطاهر بن عاشور وغيرهما. تخرج على يده الكثير من الطلاب في كل من الوادي وتقرت. ترك عدة مؤلفات هامة لغوية وفقهية. وتوفي في تقرت، ودفن بها يوم الأحد 28 شوال 1387هـ/28-01-1968م.

انظر: أحمد بن السايح ، « العلامة الشيخ الطاهر لعبيدي، الفقيه الصوفي». أسبوعية العقيدة، رقم 1 و2 ، الجزائر ، 08-02-1992.

13- الشيخ أحمد العبيدي(1888-1977م)، هو شقيق الشيخ الطاهر ورفيق دربه. درسا معا في جامع النخلة بأولاد أحمد، وختم القرآن الكريم قبل البلوغ. تتلمذ على يد شقيقه الشيخ الطاهر، ثم واصل دراسته في جامع الزيتونة على نفقة شقيقه المذكور، لكونه عاش يتيما. ولما تخرج، عمل مدرسا متطوعا في جامع السوق والنخلة بأولاد أحمد. كما درس في قرية تقديدين بجامعة. تخرج على يده الكثير من المثقفين والعلماء. وترك عدة تأليف هامة في ميدان اللغة والفقه. توفي بالوادي يوم 16-1-1977م، ودفن في مقبرة أولاد أحمد في الجهة الغربية منها. انظر: عاشوري قمعون ، « دور الشيخ العلامة أحمد العبيدي في الجهاد العلمي». مجلة البحوث والدراسات ، العدد 4، المركز الجامعي بالوادي ،(يناير 2007) ص85-92.

14- مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد العبيدي ببيته بالوادي، عام 1967م.

15- هو الشيخ الحسين بن بالقاسم بن علي بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن أحمد بن عون بن خالد بن عبد العاطي زبيدي، ينسب إلى زبدة. ويذكر إبراهيم بن عامر في كتابه الصروف بأنها قبيلة من عرش جبيرات بالأعشاش، وفدت من الجريد التونسي منذ حوالي قرنين. وفيها تعينت القيادة على جميع أولاد سعود بكوينين وسيدي عون. وزبيد، قبيلة عربية كبيرة، كانت تقيم غرب مدينة صنعاء

باليمن. خرج منها خلق كثير من الصحابة، وحين دخلوا إلى إفريقية لنشر الإسلام، اجتمعوا في ناحية واحدة بقرية قرب المهديّة بشمال شرق تونس، ومنها تفرقوا. ومن الزبيديين من نزلوا بنقطة، ومنهم من ذهبوا إلى الزاب واستقروا فيه.

ولد للشيخ بالقاسم بعض الأبناء منهم: المختار والأمين والحسين. درس الحسين أولاً بالمدرسة الأهلية بالوادي رفقة زميله الشيخ الهاشمي. ثم سجل في المدرسة الفرنسية الإسلامية Ecole Franco-Musulmane ، بقسنطينة، وتخرج منها بشهادة تعادل البكالوريا، هي دبلوم ترجمان عام 1924م، وبذلك عمل كمتّرجم في الملحقة العسكرية بالوادي لدى كل من الرائد فيري (1943-1948م)، Le Commandant Ferry قائد الملحقة العسكرية، والمتصرف الإداري أستى (1948-1950)، وبيار شالومو، رئيس الملحقة (1950-1954م) Pierre Chalumeau، ونائبه الأول بيغورو (1950-1956م) Pigoreau. ثم ترقى إلى منصب مستشار في عهد بيار بطايون (1950-1960م)، Pierre Bataillon، والمتصرف الإداري لوس كاتينو (1954-1962م) Luce-Catinot ، مهندس فلاحي، ورئيس الملحقة العسكرية بالوادي، وعين في منصبه في نوفمبر من عام 1954. وكان نائبه الثاني اسمه روشيك سيولي (1950-1962م) Rochic Sioli وبعد ذلك، رقي إلى منصب قائد الزقم وسيدي عون والبهيمة عام 1955. وألبس البرنوس من طرف الحاكم العام جاك سوستال. أما أخوه الشيخ محمد الأمين، فقد تولى عرش أولاد سعود برتبة باش آغا منذ عام 1942م، حينما تنازل له أخوه الشيخ المختار (1910-1942م) المتوفى عام 1951م في عنابة.

تزوج الشيخ الحسين حورية بنت سي محمود (الخوجة القسنطيني، الذي توفي يوم 18 شوال عام 1346هـ/1928م بالوادي)، من عائلة بوعكاز التي تولت منصب (شيخ العرب)، توارثته أبا عن جد. وتحالفت مع الأمير عبد القادر، وناصرته أول الأمر ضد الفرنسيين. وهي من أقدم وأعرق العائلات في الجنوب القسنطيني منذ القرن 11م. وقد لعبت دورا مرموقا، حسب ابن خلدون، ولفترة طويلة. ويقول نفس المؤرخ، أن عائلة بوعكاز الدواودة، تنحدر من داود بن مرداس بن رياح، القبيلة العربية الهلالية. وقد انتشرت سلطات آل بوعكاز، في العهد العثماني، على كل البلاد من قسنطينة إلى ورقلة.

أنجب الشيخ الحسين عدة أبناء منهم: بالقاسم، وعز الدين، وحمادي، ومحمد رؤوف، وفاتح، إضافة إلى عدة بنات.

يتصف الشيخ الحسين بطيب المعشر، وبالسيرة الحميدة، وبالمعاملة الحسنة،

وبالذكاء، وشدة الفطنة، وبالثقافة الواسعة. وكان يكتب مقالات في نشرة الاتصال الصحراوي، Bulletin de liaison Saharienne مثل: G n alogie des Cha mba (نسب الشعانبة)، و Z nata، (قبيلة زناتة)، و Histoire succincte de l'administration du Souf, dans les deux derniers si cles ,avant l'arriv e des Fran ais. (تاريخ موجز لإدارة سوف خلال القرنين الماضيين، قبل وصول الفرنسيين).

كما أُخبرت بأنه كان يرأسل أيضا جريدة الدفاع، La D fense التي أسسها محمد الأمين العمودي(1890-1957م) عام 1934م باللغة الفرنسية، لكن باسم مستعار. وقد كلف بتسجيل الحالة المدنية لبلدية الوادي عام 1937م. ونظرا لذكائه الوقاد وحنكته الدبلوماسية، وثقة الإدارة الفرنسية به، فقد وظف كل هذه العوامل في خدمة مجتمعه، وفي التدخل في كثير من الأحيان لفائدة الأفراد والجماعات.

توفي بعد مرض عضال دام حوالي سنتين، في المستشفى العسكري بعين النعجة بالجزائر، يوم 20-9-1993م.

وشهدت جنازته خروج الجم الغفير من المشيعين. دفن في مقبرة كوينين الشرقية. إبراهيم بن عامر: الصروف ص290، 330، عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي(1837-1939م)، ج1، طبعة دار هومة، الجزائر 2005 ص93، عبد الحميد إبراهيم قادري: التعريف بوادي ريغ، طبعة الوادي، 1999، ص21، مقابلة شخصية مع محمد رؤوف زبيدي يوم 30-5-2007 بالوادي، مصطفى سالمي: المرجع السابق.

ارجع أيضا إلى:

Andr -Roger Voisin: Le Souf, Monographie, El-Oued, 2004, PP. 314-316, Bataillon: G ographie humaine du Souf.

16- سورة البقرة، الآية رقم 184.

17- إبراهيم بن عامر: المسائل العامرية على مختصر الرحبية. المطبعة التونسية 1907 ص1.

18- تظن الخبراء إلى وجود الفوسفات بكل من الجزائر وتونس منذ عام 1878م. وشرع في إرسال البعثات الاستكشافية الأولى لمختلف أرجاء البلاد منذ

عام 1883م. وهكذا فقد اكتشف فيليب توماس Philippe Thomas - بيطري بالجيش الفرنسي، وعضو في البعثة العلمية الاستكشافية المنظمة والمرسلة إلى تونس من قبل وزارة التعليم الفرنسي- الفوسفات بـجبال تمغزة وقفصة يوم 18 - 4 - 1885م، على مسافة تمتد إلى 80 كم. وأخبر أكاديمية العلوم باكتشافه يوم 07-12-1885م.

وقد تم البدء باستغلال منجم المتلوي عام 1897 م، ثم منجم الرديف عام 1909 م، ثم أم العرائس عام 1919م.

وكان أول رئيس لشركة فوسفات مناجم قفصة هو دوليفوس قالين Dolifus Galline الذي حكمها من عام 1897 إلى غاية 15-10-1907م.

حفيظ طالبي: الحركة النقابية بمناجم قفصة (1936-1956)، شهادة التعمق في البحث، قدمت لجامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الدراسية: 1992-1993. ارجع أيضا:

Noureddine Dougui: Monographie d'une grande Entreprise coloniale: La Compagnie des phosphates et du chemin de fer de Gafsa(1897-1930), Tunis, 1991

19- أخبره أحد العمال السوافة بأن جده (عض غاربه) أي مات. فقرر الشيخ الهاشمي العودة من حيث أتى ، وعرج على زاوية الشيخ المولدي بو عراقية بتوزر، فالتقى هناك بالشيخ إبراهيم بن عامر الذي اعتاد على زيارة الزاوية كل عام مع فرقة المديح التي كان يرأسها. واشترك الشيخ الهاشمي مع الفرقة في المديح، غير أنه لم يكن في وضع طبيعي، مما جعل الشيخ إبراهيم يسأله عن حاله، فأجابه بسماعه نعي جده، فأكد له الشيخ بأن جده تركه في صحة جيدة. ومع ذلك قرر الشيخ الهاشمي الرجوع إلى الوادي.

مقابلة شخصية مع رشيد حسني، (ابن المترجم له)، بمنزله بحي أولاد أحمد بالوادي يوم 05-6-2007م.

20- مراسلة رشيد حسني.

21- انظر: Dossiers du personnel de la justice .

Musulmane .C.0175,T.S. ANA ومقابلة مع الشيخ أحمد خراز)

موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله بالوادي، يوم الاثنين 18 - 6 -

2007 م، على الساعة

- 22- مراسلة رشيد حسني.
- 23- مقابلة مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي (محاسب معتمد) بالوادي عام 2005 .
- 24- رسالة محمد العيد آل خليفة إلى الشيخ الهاشمي مؤرخة عام 1967م.
- 25-حسني الهاشمي: نبذة من حياة المؤلف ص13 في كتاب الصروف للشيخ إبراهيم العوامر.
- 26- مقابلة شخصية مع الشيخ الهاشمي ببيته بالوادي عام 1966م.
- 27- من بين تلاميذه: الحاج مصباح مصباحي بن الحاج عمر، أول مدير لثانوية عبد العزيز الشريف بالوادي ،والحاج عاشوري قمعون بن الحاج عبد القادر الذي كان مفتشا للتعليم الأساسي في مادة العلوم الاجتماعية، ويعمل الآن أستاذا جامعيا بالمركز الجامعي بالوادي، والحاج عز الدين زبيدي بن الحسين، الذي كان مديرا تنفيذيا لمديرية الشبيبة والرياضة، وهو الآن يقوم بأعمال رجل الأعمال الكبير الجيلاني مهري بن الحاج الطاهر بالوادي، وأخوه حمادي زبيدي الذي كان قائد فرقة للدرك الوطني، وإسماعيل عمراني الذي تولى منصب مفتش التعليم الابتدائي والمتوسط، والمشرى النوبلي بن الحاج علي، مدير مدرسة نصرات حشاني، وإسماعيل ونيسي بن بشير المستشار التربوي للغة الفرنسية، وغير هؤلاء كثير. كما سبق وأن درّس التاجر الكبير الحاج سالم عطا الله(الجديدي)، و محمد بن الطاهر الأطرش(1907-1972م)، الذي كان خياطا بالوادي، والحاج الحبيب (1911-2007 م) بن البشير زغودة (غندير).
- 28- مراسلة رشيد حسني، ومقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله بالوادي ، يوم الاثنين 18 - 6 - 2007 م، على الساعة 11.
- 29- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله بالوادي، يوم الاثنين 18-6-2007 م، على الساعة 11، ومراسلة رشيد حسني.
- 30- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله بالوادي، يوم الاثنين 18-6-2007م، على الساعة 11.
- مقابلة مع الأستاذ محمد

بوقطاية (من تلاميذ
الشيخ) عام 2009.

31- مقابلة شخصية مع الشيخ
الهاشمي ببيته بالوادي عام
1966م.

32- مقابلة مع الأستاذ محمد
بوقطاية(من تلاميذ الشيخ) عام
2009.

34- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله
بالوادي، يوم الاثنين 18 - 6
2007 م، على الساعة
11.

35- مراسلة رشيد حسني.

36- مقابلة مع الشيخ
الصادق قديري بمنزله
بالوادي يوم 28-8-2008
على الساعة 10 و 50 د.

37- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من مواليد 1924م) بمنزله
بالوادي، يوم الاثنين 18 - 6
2007 م، على الساعة
11.

38- مقابلة شخصية مع الشيخ الهاشمي ببيته بالوادي عام 1966م.

39- مراسلة رشيد حسني.

40- هو الشيخ محمد الهاشمي (1853-1923م) بن الشيخ إبراهيم. ولد بنفطة
عام 1853م. أسس زاوية النياضة حوالي عام 1892. ووصل نفوذ الطريقة
القادرية في عهده إلى توات وتيميمون وغات وغدامس. قام بانتفاضة شعبية
عارمة يوم 15-11-1918م ضد الإدارة الفرنسية الظالمة، فألقي عليه القبض،
ونفي من الوادي مدة تقارب العامين، أي من 15-11-1918م إلى جويلية
1920.

كان الشيخ ذكيا جدا وسخيا جدا، يحترم أهل العلم. توفي بالوادي في صفر

1342هـ/ 23-9-1923م، ودفن بزوايته بالبياضة بالوادي.

انظر: عاشوري قمعون، « دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية». مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، المركز الجامعي بالوادي (جوان 2006)، ص75-77.

41- ولد الشيخ محمد الإمام(1864-1904م) بن إبراهيم بنفطة خلال عام 1864م، وهو أخ غير شقيق للشيخ الهاشمي. جاء إلى الوادي، وأسس زاوية بالرباح. غير أنه لم يشتهر كشهرة أخيه. مات عام 1904، وعمره لم يتجاوز 40 عاما، ودفن بزوايته بالرباح جنوب الوادي.
انظر: عاشوري قمعون، المرجع السابق ص75-77.

42- مراسلة رشيد حسني.

43- مقابلة مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي (محاسب معتمد) بالوادي عام 2005.

44- مراسلة رشيد حسني.

45- جاء إلى الوادي لأداء الخدمة العسكرية عام 1956م. وكان يتنقل بسيارته إلى حاسي خليفة وغيرها من القرى، ويتصل بالفلاحين وشعراء الملحون للاستماع إليهم. وقد أسس مجلة صوت وادي سوف (La Voix du Souf) التي تحتوي على بعض الأشعار الملحونة وجوانب اقتصادية مختلفة، وكان الشيخ الهاشمي يكتب فيها بعض المقالات. كان يدعم قائمة المواطنين في الانتخابات البلدية. وأوقف في إقامة دار الضياف أربعة أيام، لاتهامه من طرف جماعة روبيسيكي بمناصرة الوطنيين. رجع إلى فرنسا عام 1959م.
مقابلة شخصية مع رشيد حسني(ابن المترجم له) بمنزله بحي أولاد أحمد بالوادي يوم 5-6-2007.

46- مقابلة مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي (محاسب معتمد) بالوادي عام 2005.

47- André - Roger Voisin: Le Souf, PP. 314-316. El-Oued, 2004. انظر:.

48- روبيسيكي مارسال Robuschi Marcel، من أصل كورسيكي. معمر مشهور بالوادي. ولد بالشرية خلال عام 1903م، من أب كان يعمل في شركة السكك الحديدية بسوق أهراس. وعندما بلغ سن التقاعد، انتقل بعائلته إلى الشريعة بولاية تبسة، ليعمل كحارس غابات فيها. وحسب المعلومات المستقاة، فإن والده أدخله إلى أحد الكتاتيب بالشرية لانعدام وجود المدرسة الابتدائية الفرنسية

وقتذاك. وعليه، فقد كان يتقن اللغة العربية أكثر من إتقانه للغة الفرنسية. ولما بلغ أشده، انخرط في سلك الجيش، وترقى إلى رتبة مساعد. ثم جاء إلى الوادي في الفرقة العسكرية الصحراوية. وفي أواخر الأربعينيات، استقال من خدمة الجيش، واستأجر من عائلة باي محلاتهم المقابلة لنزل ترونزات – Transat - لمزاولة التجارة، وبقي فيها حتى الاستقلال.

صار يخشى المنافسة والخسران في الانتخابات البلدية، فأوعز إلى الحاكم العسكري باستنطاق الشيخ الهاشمي بتهمة التحريض ضد فرنسا، غير أن فطنة الشيخ وفصاحة لسانه، غيرت الكفة لفائدته، واضطر الضابط المتعجرف إلى أن يطلق سراحه مع إبقائه تحت الرقابة العسكرية حتى الاستقلال.

توفي روبيسكي بعد رجوعه إلى فرنسا مصابا بالشلل، بعد أن عاش حوالي 80 عاما.

مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي (محاسب معتمد) بالوادي عام 2005م. ارجع أيضا إلى: André Voisin: OP.CIT.,P.315.

49- مقابلة مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي (محاسب معتمد) بالوادي عام 2005، و مقابلة مع الشيخ أحمد خراز (موظف متقاعد من موليد 1924م) بمنزل بالوادي، يوم الاثنين 18 - 6 - 2007 م على الساعة 11.

50- معركة غوط شيكا (Chica) معركة عنيفة وقعت في غابة نخيل، تنسب إلى أحد المعمرين الذي قام بإنشائها بمساعدة الفلاحين الذين كانوا يغرسون له النخيل تطوعا. وهذا المعمر هو فرنسي من أصل إيطالي، كان يتردد على قمار، ويمكن فيها ستة أشهر من كل عام، وذلك للاتجار بالتمر والتبغ في الوادي، وكان يعامل الفلاحين معاملة حسنة كما قيل. حدثت في هذه الغابة معركة شديدة، أيام 10/09/08 أوت 1955، وأسفرت عن مقتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين وعملاتهم من الخونة، مما اضطر الحاكم العام سوستال إلى أن يجيء بنفسه ليلاحظ الخسائر التي تكبدها جيشه.

انظر: أبو القاسم سعد الله، « معركة غوط شيكا ». مجلة أول نوفمبر عام 1986.

51- جاك سوستال Jacques Soustelle رجل سياسي فرنسي. ولد عام 1912 في مدينة مونتبيلييه Montpellier. خريج المدرسة العليا للأساتذة. ألف عدة كتب حول تاريخ المكسيك القديمة. كان أستاذ علم الاجتماع في مدرسة الدراسات العليا. تولى وزارة الأخبار عام 1945م، والمستعمرات عام 1945-1946م. وعندما تولى منصب الحاكم العام للجزائر عام 1955م، صار مدافعا عن سياسة الجزائر الفرنسية، وسياسة إدماج الجماعة الإسلامية.

استدعي عام 1958م لتولي وزارة الأخبار، ثم وزيرا مفوضا للعمليات الصحراوية، غير أنه أبعد عن وظائفه

عام 1960. انظر: Petit Robert II, Paris, 1977, P. 1732.
52- مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي، (محاسب معتمد)، بالوادي عام 2005م.

53- اسم قائد القطاع العسكري أحمد زمولي، ولد بتبسة عام 1936م، ينتمي إلى عرش أولاد خليفة بولاية تبسة. واصل دراسته في الكتاب ثم في جامع الزيتونة. ثم انخرط في جيش التحرير الوطني منذ شبابه. وبعد الاستقلال، تولى قيادة بعض القطاعات العسكرية، منها: قائد القطاع العسكري بتلمسان، ثم الوادي، فبسكرة. ثم أُحيل على المعاش برتبة رائد. كان مهتما كثيرا بالثقافة، وبالمداومة على قراءة القرآن. وكان يواصل الدراسة وهو يمارس عمله، فحصل على شهادة ليسانس في التاريخ من جامعة قسنطينة، كما حصل على ليسانس في الحقوق من نفس الجامعة. وهو الذي نصحتني بالتخصص في فرع التاريخ. تقاعد عام 1984م، وهو يمارس مهنة المحاماة في مدينة تبسة حاليا.

54- علم الفياقة هو تعبير مجازي مشتق من استفاق أي انتبه من غفلته وتيقظ، ويقصد به مجموعة الأفكار والتجارب التي مرت على الشيخ والتي كان يلقنها إلينا كدروس عملية من أجل التفتن وأخذ الحيطة والحذر مما يمكن أن يحدث في حياتنا اليومية من مراوغات المخادعين ومكر الماكريين.

55- مراسلة رشيد حسني.

56- رسالة مؤرخة يوم 19-9-1979، بخط الشيخ الهاشمي محفوظة عندي.

57- مصطفى سالمى، المرجع السابق.

58- اسمه محمد الصالح بن محمد بن مسعود ساسي. ولد بالوادي عام 1921م.

أمه وريدة بنت الشيخ العربي بن مصباح سالمى، رئيس زاوية سيدي سالم (1916-1945م). كان رجلا فطنا، يميل إلى الحركة الإصلاحية، ومن ملازمي الشيخ الهاشمي. وكان يمتهن حرفة الخياطة في دكان بسوق الوادي، اكتراه من مئة بنت المنصوري. تحول عام 1972م إلى ورقلة وفتح متجرا هناك، غير أن الظروف لم تسعفه، فعاد إلى الوادي، واستمر في حرفته الأولى إلى أن وافته المنية في 21-8-1999م، ودفن بجبانة الأعشاش.

مقابلة مع محمد ساسي ابن المترجم له بالوادي عام 2008م.

59- مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد الطاهر العمودي، (محاسب معتمد)، بالوادي عام 2005م.

60- مصطفى سالمي، المرجع السابق، ومراسلة رشيد حسني.
61- كتاب اسمه مختصر خليل، ألفه العلامة أبو الضياء خليل بن إسحاق المصري (ت.775هـ/1374م)، وهو من أعظم فقهاء المالكية في عصره. ذاع صيته عبر آفاق العالم الإسلامي. اعتنى بشرحه الكثير من العلماء، وقد نظمه الشيخ خليفة بن حسن القماري السوفي(1711-1793م) في 9817 بيتاً.
انظر: علي غنايزية، «فضاءات تراثية»، أوراق جامعية، العدد الثاني، (المركز الجامعي بالوادي) جوان 2005، ص21.

62- هو كتاب يحتوي على مجموعة من مناقب الشيخ محمد الصالح، رئيس الزاوية الرحمانية بالوادي. ألفه صاحبه إبراهيم بن عامر، وتناول فيه بعض الكرامات التي ظهرت للشيخ محمد الصالح. وسماه: البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح. كما تناول فيه بعض المطالب، منها: ترك الإنكار على الأولياء، وعدد الأولياء، وتقسيمهم، وعدد الطرق، وجواز البشاشة في وجوه غير المسلمين، وجواز التطبب ولو بالكافر، ونسب الشيخ سيدي محمد الصالح، وسند طريقته، إضافة إلى بعض صفات الشيخ، وبعض القصائد.

انظر: البحر الطافح، طبع بمطبعة بيكار وشركائه بتونس، عام 1323هـ.
63- هو الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي). ولد عام 1290هـ/1873م بالوادي. كان غزير العلم، بذل جهودا كبيرة في التدريس بزاوية سيدي سالم، ومسجد سيدي المسعود بسوق الوادي. ثم انتقل إلى تقرت، ودرس بالمسجد العتيق، وشرع في تفسير القرآن الكريم حتى وصل إلى " وإن عزموا الطلاق".

اتصف بالورع والزهد والتواضع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. أنجب ابنا سماه الميداني، صار من أشهر علماء سوف. وصاهر تلميذه الشيخ إبراهيم بن عامر الذي تزوج ابنته زينب.

تتلمذ على يديه الشيخان: الطاهر وشقيقه أحمد، بالإضافة إلى إبراهيم بن عامر. توفي في ذي الحجة عام 1322هـ/ مارس 1905م، وخلفه في التدريس تلميذه الشيخ الطاهر، بتوصية منه.

انظر: عاشوري قمعون، « دور الشيخ العلامة أحمد العبيدي في الجهاد العلمي »، مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، المركز الجامعي بالوادي، (يناير 2007) ص112.

- 64- الشيخ محمد الصالح بن سيدي سالم، ولد بالوادي عام 1263هـ/1846م. وكان يتردد كثيرا على زيارة الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة. تولى مشيخة الزاوية الرحمانية بالوادي. توفي في شهر صفر عام 1335هـ/27-11-1916م، ودفن بزاويته بالوادي.
- انظر: عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية، الوادي 2006 ص 176-182.
- 65- الشيخ عبد الرحمن بن محمد العمودي، ولد بالوادي. درس عليه بعض الشيوخ منهم: إبراهيم ابن عامر والطاهر العبيدي والعروسي بن عبد الله محمدي (الهرش) وغيرهم. كان متصوفا وزاهدا، كثير التجوال، ناشرا للعلم. عمل في سلك القضاء بكوينين. توفي بالوادي عام 1326هـ/1909م، ودفن في مقبرة الأعشاش بالوادي.
- انظر: مصطفى سالمي: المرجع السابق ولقاء مع الشيخ البشير الأحمدي يوم الجمعة 06-11-2009 على الساعة 11 بزاوية سيدي سالم بالوادي.
- 66- البشير بوكوشة هو أحد الخطاطين والنساخين. كان محبا للعلم وأهله، وحرص على تعليم أبنائه. يعد من التجار المعروفين بالوادي. ولد بحي الأعشاش خلال عام 1867م. هاجر إلى بسكرة ليتعاطى التجارة هناك. توفي سي البشير يوم 07-02-1933م، ودفن في مقبرة الأعشاش.
- انظر: مصطفى سالمي، المرجع السابق.
- 67- حسني الهاشمي: نبذة من حياة المؤلف ص 1

